قصة القدس بالإنكليزية إلكترونياً

معن البياري

لا تزيّد في القول إنه منجزٌ كثير القيمة، موقع إلكتروني باللغة الإنكليزية عن القدس وقصتها وروايتها وكفاحها، ليس فقط مدينةً فلسطينيةً مثقلةً برمزيات روحيةٍ خاصّة، وإنما أيضا موطنا واجتماعا وذاكرةً وناسا. الكلام كثير عن القدس بالعربية، ليس المقام هنا للرأي فيه وعنه، ولا عن جمهوره (أو جماهيره)، ولا عن فاعليّته وتأثيره. وإنما المقام هنا هو التذكير بالبديهي، عن وجوب طرح السردية الفلسطينية عن القدس، بمهنيةٍ وكفاءةٍ، في العالم، بغير لغةٍ، أي بغير معجم وقاموس. هذه مهمةٌ شاقة، ثقيلة، شديدة الوجوب، منذ عقود. أهدرَت مؤسساتٌ ومنظماتٌ ومؤتمراتٌ وملتقياتٌ وقتا وغيرا في الحديث المستهرس، السهل الذي يلا جمرك، عن أهمية هذا الواجب الملحّ، من غير أن تتنكّب الأمرَ جهةٌ اختصاص، أو ذاتُ مسؤولية. إلا في حالات شحيحة وجزئية، وفرداني غالبا، فتطلق مبادراتٍ مبتكرةً في نشر حكاية القدس الكاملة أمام جمهور غافل عنها، لا يعرفها، بل يتلقّى الحكاية الضائعة، المزوّرة، الدّعاة، التي ينشط صهاينةٌ مدرّبون، دؤوبون، على طرحها في منابر ومنصّات ووسائط بلا عدد، بالإنكليزية والفرنسية وغيرهما.

إذن، ما أتاه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عندما أخذ على عاتقه أن يتولّى مسؤولية أدبيةً ومعنوية، وثقافية، وحضارية، (وطنية، لم لا؟)، فيتبنّى مشروع إطلاق موقع إلكتروني بالإنكليزية، معنيٍّ بالقدس وقصتها، بتاريخها وبعض رهانها، طموح، جذّاب، متنوّع، متعدّد مستويات التلقي، إذ يفترض جمهورا مختصّا معنيا بالبحث والدرس، وجمهورا آخر قارئا مهتما، وجمهورا ثالثا قارئا يتوسّل معرفة، بتعجّل أو تمهل، وجمهورا يعصى على التعيين والتحديد. اجتهدت مديرة الموقع، كيت روحانا، في بناء تصوّر للمشروع، بالتعاون مع أكاديميين ومختصين، وبالتنسيق مع التقنيين من أهل الكفاءة، وفي نحو ثلاث سنواتٍ من العمل الدؤوب والجهد والمتابعة وجمع المواد وإنتاجها، وتوفير الخرائط والفيديوهات والصور والرسوم، والمراجع والمصنّفات والكتب والوثائق، لتكون تاليا أمام مكتبةٍ ميسّرةٍ عن القدس، عن الفلسطينيين أهلها، وعن إجراءات الاحتلال واستيطانه النشط في المدينة وحواليها. وإلى هذا كله وغيره كثيرٌ مما ليس في وسع هذه السطور الإحاطة به، حضر المقدسيون يسردون رواياتهم ومحكيّاتهم عن بقائهم في القدس، ومساهماتهم وما أنجزوه وقدّموه، وعن سيرهم وما اهتمهم به المدينة، وعن كثير يتعلق بهم وبها. تفيئُك جولةٌ في الموقع الإلكتروني (www.jerusalemstory.com) بوفير من الحقائق الاجتماعية والتاريخية والعيشية والكفاحية عن القدس التي تقاوم ما لا ينفكّ المحتلون يصنعونه في المدينة، تتوطّن في أخيلتهم أوهام انتصار الخرافة على الحقيقة، عندما يستقوون بثقافة المحو والتغلّب والإلغاء، والتهجير والسيطرة، فيما المقدسيون الفلسطينيون يحمون ذاكرة القدس، ويسيجون حكاياتها بإرادة الحياة وثقافة المقاومة. وهذا ما يقع عليه زائر الموقع الرائد، والمتنوّع بكل أسباب الانشداد إليه، والذي يُخبرنا القائمون عليه إن ما نشاهده فيه حاليا منجز مرحلةٍ أولى، ذلك أنه في مراحل تالية سيتغذّى بعديد من الإضافات والمنتجات، سيما وأنه يتوفر على إمكانات التفاعل معه، وفي وُسع من يريد، ويجد أن لديه شيئا مميّزا يضيفه، أن يقترح ويطرح أفكاره، وسيلقى كل اهتمام، وسيما أنه لا غضاضة في القول هنا إن هذا المنجز، إذ يستحقّ كل تثمين، ففي الوسع أن يُشار إلى نواقص فيه، وناسه، في الأول والأخير، لم يدّعوا الكمال ولا الاكتمال.

إنها القدس (أو بيت المقدس) التي وصفها ابن حوقل، في زمانه، في عمله «وصف الأرض»، بأنها «من أخصب بلاد فلسطين على مرّ الأوقات». وفي زماننا هي الأرض الخصبة بحكايات الثبات والبقاء والمواجهة، وإنْ بمكابدة. ومن جميل الموقع الإلكتروني أنه يؤالف بين اليومي والتاريخي، ويوازي بين الفردي والجماعي، ويجمع بين المتذكّر والراهن، ويصنع في ذلك كله مادّة غنية بما هو حيوي وجوهري، تساعد المؤثرات الفنية، وكذا أدوات الإيضاح، والصور الفوتوغرافية والمتحرّكة، على استفادة مما تقرأ وترى بكثير من اليسر. وهذا من كثير مريح يشيعه في النفس هذا المنجز، والذي يجوز تكرار القول بشأنه إنه ضرورة لم تكترث بها جامعة الدول العربية والمؤتمر الإسلامي ولجنة القدس و«الكسو» وغيرها، فتطوّع المركز العربي بالمبادرة، فكان هذا الموقع لجمهور اللغة الإنكليزية .. أي الجمهور الأعرض في العالم.

لماذا نعود إلى فلسفة الأخلاق عالمياً؟

مهنا الحبيل

في الجولة التي قادني فيها نائب رئيس الجامعة الإسلامية العالمية في كوالالمبور، ذو الكفل حسن، توقفتُ ملياً عند معرض الجامعة، خصوصا حين كان يشرح لي المضيف الكريم رحلة التأسيس التاريخي لهذه المؤسسة الأكاديمية المهمة للغاية. تأملتُ صور الآباء المؤسسين الماليزيين، واستذكرنا معاً صاحب الفكرة الأولى في تأسيس الجامعة، وهو العالم العراقي الراحل طه جابر العلواني، رحمه الله، وأمام المراحل التطويرية والتعليمية للجامعة، كان شاهد الإنجاز كبيراً لرحلة العلواني ورفاقه الماليزيين في تدشين هذا الصرح. ولا تزال الجامعة تُقدم منح بعثاتها لحاضر العالم الإسلامي، والذي تزداد فيه حاجته القصوى لظروفه السياسية والاقتصادية، وبالذات بلدان الوطن العربي، ولأحظتُ أمام هذا السجل الأكاديمي والثقافي والتعليمي كيف باتت هذه المؤسسة صرحاً كبيراً، أخذني المشهد إلى مبدأ الإنجاز وهو تفكير العلواني الذي دشّن بعد ذلك عدة مؤسسات، ما يؤلم ان رحيله في عام 2016، وهو منتصف العقد، منذ هجوم الثورات المضادة، لم يترك صدى مستحقاً لهذا المفكّر الإسلامي العراقي الكبير. ولم يكن ذلك لجهل به بالضرورة، ولكنه كان أيضاً بسبب الموقف من رؤاه التجديدية، لسنا بصدد عرضها وعرض رؤية معارضيها، لكنها لحظة اهتمام فارقة في إشكالات الفكر النهضوي الإسلامي التجديدي مع الرأي الديني الآخر، ليس بسبب منع أحقية الخلاف ولا أهمية النقد، ولا تزكية كل أطروحات الفكر التجديدي، ولكن روح المقصلة الجاثمة على منابر وتكتلات حاشدة أو مؤثرة على جمهور الخطاب الديني.

انتقل التأمل، خلال الجولة الحيوية وبعدها، إلى مراجعات أخيرة، عدتُ فيها إلى آخر أيام حياة المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي، رحمه الله، وهي موسم حزن عميق، شعر فيها بإحباط شخصي ما غير مسار الجماعة، قائداً كان شاعراً أم فيلسوفاً أم حتى نبيّاً، أو حتى في كارثةٍ ما حاقت بالجماعة فارهقتها أو صقلتها أو غيّرت في جوهرها. كي تنجح الأساطير في البقاء عبر آلاف السنين، فإنّها تكثّف الحكمة البشرية من خلال صناعة الرموز، والأخيرة قد تكون امكن توماس هوبز، أو على افتراض العكس، كما يقول إمانويل كانط، حيث يكون التطاحن والصراع بين البشر، عارضاً في تاريخهم القائم على التعاون والتكامل. وفي مراحل لاحقة من تحوّل الجماعات إلى كيانات سياسية، أي عندما بدأت تأخذ شكل الدول والإمبراطوريات، وعندما بدأت تصوغ اجتماعها كامم مختلفة من بعضها بعضا، بات من الطبيعي صناعة الهُوية المميزة لكل أمّة أو شعب في دولة.

والدول تقوم على المؤسسات، مُنذ اللحظة التي اكتشف فيها البشر قوّة السحر لضبط التوقعات، إلى الوقت الراهن حيث يتمّ تركيز السلطة أو توزيعها حسب طبيعة نظام الحكم بين الاستبداد والدكتاتورية أو الديمقراطية والنشاركية، كانت المهد، تخدم هدف نظام الحكم السيطر أو لكيانها الذي فيه تُصنعُ الأمّة. وحتى تشكيل حكومة الأغلبية، فما كان منه إلا أن أعلن استقالة نوابه ومقاطعته العملية السياسية، ليبرّر نوري المالكي، من جديد، مرشّحا لقوى الإطار التنسيقي، المعروفة بولائها لإيران، ليكون رئيساً للوزراء للحكومة الجديدة، وما بين الرجلين ما صنع الحدّاد. عندما استلم المالكي رئاسة حكومته الأولى 2006-2010، كان من أول ما فعل ضربه الميليشيات التابعة لمقتدى الصدر، فتشرّ عليهم ما عرفت وقتها «صولة الفرسان» التي سعى منها إلى قصقصة أجنحة الصدر القوية، وخصوصا في محافظة البصرة، عصب النفط العراقي.

ولكن، هل ستسمح استقالة نواب الصدر من البرلمان للمالكي بالعودة إلى رئاسة الحكومة، كما تبشّر بذلك دوائر وشخصيات مقرّبة منه؟ لا يبدو الأمر بهذه السهولة، فلعبة «حية ودرج» السياسية العراقية حافلة مفاجآت والغازا كثيرة، فهناك، على ما يبدو، طبخة صدّرية في مقابل ما بعده المطبخ المقابل، فالمعادلة إلى حين صدور الأمر الديواني بقبولها بحسب قانونيين، ناهيك عن أن أي حكومة تُشكّل من دون الثلث الصدري ستبقى هشّة قابلة للموت السريري، متى ما أراد الصدر وإرباك الشعبي العريض أن يقتلها بمجرّد نزولهم إلى الشّارع.

وجود صراع الخط النوعي داخل العملية السياسية في العراق تطوّرَ ملفت، فبعد أن كانت الصراعات السياسية ثلاثية الرؤوس (شيعية – سنية – كردية)، ثم ثنائية (شيعية – كردية)، تحوّلت اليوم إلى أحادية، «شيعية – شيعية». وهذا تحوّل يمكن قراءته أنه سيشكّل واقعا كارثيا للعراق خلال العقد المقبل، خصوصا أن المتصارعين هذه المرّة مدجّجون بالسلاح والنفوذ، فهل سيدخل المالكي بعد خروج الصدر، أم أن خروج الصدر مؤقت وجزء من «فخّ» معد سلفا للإيقاع بمقابيا «الإطار التنسيقي»، من خلال تحريك الصدر الشارع والانقضاض على حكومةٍ يشكلها «الإطار» للتخلص من القوى المناهضة له بطريقة شعبية ذكية، من دون أن يتورّط بها هو شخصيا أو حتى تياره؟

(إعلامي عراقي)

خرج الصدر... دخل المالكي

إياد الدليمي

وكانها لعبة «حية ودرج»، التي كانت من متعنا الصبية، نلعبها صغارا، وسط اشتداد الحر وغياب وسائل الترفيه الأخرى. يخرج فلان ويدخل آخر، ويخرج آخر ويعود فلان للدخول... هذه، ببساطة، نظرة موجزة على واقع العملية السياسية في العراق منذ الغزو الأميركي له عام 2003، يوم فضل عملية سياسية على مقاسه، ومقاس من أتى بهم من المنافي أجنحة الصدر القوية، وخصوصا في محافظة البصرة، عصب النفط العراقي.

ولكن، هل ستسمح استقالة نواب الصدر من البرلمان للمالكي بالعودة إلى رئاسة الحكومة، كما تبشّر بذلك دوائر ومشخصاتٌ مقرّبة منه؟ لا يبدو الأمر بهذه السهولة، فلعبة «حية ودرج» السياسية العراقية حافلة مفاجآت والغازا كثيرة، فهناك، على ما يبدو، طبخة صدّرية في مقابل ما بعده المطبخ المقابل، فالمعادلة إلى حين صدور الأمر الديواني بقبولها بحسب قانونيين، ناهيك عن أن أي حكومة تُشكّل من دون الثلث الصدري ستبقى هشّة قابلة للموت السريري، متى ما أراد الصدر وإرباك الشعبي العريض أن يقتلها بمجرّد نزولهم إلى الشّارع.

وجود صراع الخط النوعي داخل العملية السياسية في العراق تطوّرَ ملفت، فبعد أن كانت الصراعات السياسية ثلاثية الرؤوس (شيعية – سنية – كردية)، ثم ثنائية (شيعية – كردية)، تحوّلت اليوم إلى أحادية، «شيعية – شيعية». وهذا تحوّل يمكن قراءته أنه سيشكّل واقعا كارثيا للعراق خلال العقد المقبل، خصوصا أن المتصارعين هذه المرّة مدجّجون بالسلاح والنفوذ، فهل سيدخل المالكي بعد خروج الصدر، أم أن خروج الصدر مؤقت وجزء من «فخّ» معد سلفا للإيقاع بمقابيا «الإطار التنسيقي»، من خلال تحريك الصدر الشارع والانقضاض على حكومةٍ يشكلها «الإطار» للتخلص من القوى المناهضة له بطريقة شعبية ذكية، من دون أن يتورّط بها هو شخصيا أو حتى تياره؟

(إعلامي عراقي)

كاريكاتير **عماد حجاج**

الحوار في موريتانيا معلقاً في مهبّ الجدل

السيد احمد احمد ملّا

الحوار إحدى آليات الديمقراطية الحديثة للتباحث في الأمور الخلافية، ولحل النزاعات وتدارس الأوضاع وتذليل المصاعب التي تعرفها الدول والمجتمعات والتنظيمات السياسية بالطرق السلمية. وموريتانيا، كما دول غيرها، في توسل هذه الآلية منذ الاستقلال في العام 1960، فقد جرى الحوار بين المرحوم المختار ولداه وحركة الكادحين ذات التوجه اليساري، مما نتج عنه اتخاذ الدولة قرارات جريئة، ودخول أغلب قادة الحركة في حزب الشعب الموريتاني، وبقاء الجزء الآخر في المعارضة السرّية. كما جرت عدة حوارات بعد استيلاء الجيش على السلطة في يوليو/ تموز 1978، تفاوتت نتائجها بحسب سياقها وظروف تنظيمها والهدف منها ومخرجاتها والجهات المعنية المشاركة فيها.

داب الرئيس الحالي محمد ولد الشيخ الغزواني، منذ توليه الحكم في 2019 على تهدئة الوضع السياسي في بلاده، إلى درجة أن كثيرين يرون أنه تبنّى خطاب المعارضة، ودخل في اتصالات ثنائية مع الفرقاء السياسيين وأصحاب الرأي، نتج عنها شبه غياب لخطاب المعارضة من الساحة السياسية، إذا ما استثنينا بعض إطلالات خجولة لهذا الحزب أو ذاك. ولعل هذا يدخل ضمن استراتيجية الرئيس، عندما قال إن الحوار مفتوح للكل، ولا خطوط حمراء في مواضيعه، فهو يريد من الحوار أن يكون شاملا، ولا يستثني أي موضوع، ولا يقصي أي جهة.

استغرق إعداد عملية الحوار/ التشاور نحو سنة من عمل اللجنة التي أسندت إليها المهمة. ولم تخل عملية الاعداد هذه من مطبات، تتعلق بالاتفاق على المصطلح والتفريق بين الحوار والتشاور، حيث يرى بعضهم أن نتائج التشاور ليست ملزمة عكس نتائج الحوار. كما شملت المطبّات تلك المعلقة باختيار المواضيع ذات الاهتمام والجهات المشاركة والمخرجات والية تنفيذها وضماناتها وافقها الزمني. وكانت الأطراف السياسية المشاركة في التحضير للحوار قد اتفقت على مشاركة 600 شخص، منهم 280 يمثلون الأحزاب السياسية، و320 لهيئات المجتمع المدني ومؤسساته، وإقرار تسع ورشات وثلاثة محاور تتألف من مواضيع فرعية، ولجنة للتوجيه وأخرى للإعلام والصحافة، ولجنة للسكرتاريا. من ابرز هذه الملفات، المسار الديمقراطي والإصلاحات الدستورية والتشريعية، وتعزيز دولة القانون، ومعالجة إشكالية الرقّ ومخلّفاته، ومكافحة الفساد، وإصلاح القضاء والإصلاحين الإداري والعقاري، وغيرها.

إلا أن رياح السياسة قد جرت بما لا تشتهي سفن قبطان اللجنة التحضيرية للحوار، حيث انسحبت بعض أحزاب المعارضة المشاركة في الحوار، معلنة قرارها عدم المشاركة في جريانه. وبناء على ذلك، أعلن رئيس اللجنة تعليق الحوار أو توقفه حتى إشعار جديد، قد يتحول إلى أجل غير مسمّى، فلا المعارضة ترغب في أن تتحمّل مسؤولية توقيف الحوار، ولا الأغلبية راضية بذلك، وما يترتب عليه من تبعات سياسية بالدرجة الأولى.

وفي ظل تدافع المسؤولية المباشرة وغير المباشرة عن تعليق الحوار أو توقيفه، تبقى جملة من الأسئلة العالقة مطروحة، يمكن من خلال سبر كنهها الوصول الى معرفة أكثر دقة بحيثيات ما حدث ومالاته المحتملة، بعيدا عن الاصطفاف الإيديولوجي والسياسي الذي يحجب الحقيقة، ويمنع من الحكم الموضوعي.

هل كانت الحملة الرئاسية السابقة لأوانها التي قام بها النائب والمرشّح السابق للرئاسيات، برام الداه اعبيد، تحت راية حزب «البرك» الذي لم يحصل بعد على الترخيص، أحد الأسباب غير المباشرة لما آل إليه الحوار، أم أنه جرى تجاوز خطوط حمراء بالنسبة لبعضهم؟ هل توقف الحوار أو علق، حتى يعود القراء الذين خرجوا إلى الصف؟ أم أنه لا يعدو أنه مناورة قامت بها الحكومة لإلهاء الموريتانيين وشغلهم عن قضايا الحياة اليومية، وتأثيرات جائحة كوفيد 19 التي تفاقمت على أثر الحرب الروسية الأوكرانية، أم أنه توقف بسبب خلافات داخل الصف الداعم للرئيس؟

على الرغم من الأهمية الإعلامية، وحتى السياسية، المعطاة للحوار، فإنه اعد على أرضية أقل سقفا من الحالة القائمة أكثر من غيرها. ويمكن القول إن الحكومة قد لا تكون بحاجة ماسّة للحوار، فهي تعتمد على دعم حزب يتمتع بأغلبية برلمانية مريحة، تجلت قوتها في رفض نحو 40 مقترحا قدّمها أحد النواب، تتعلق بجواب تراوحت بين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، مثل زيادة رواتب المدرسين وأعضاء الشرطة والحرس والتكفل بتسديد فواتير كهرباء وماء المساجد، ونحوها. حيث رفضت الأغلبية كل الاقتراحات بما يزيد على 90 صوتا مقابل اقل من 20، ضاربة عرض الحائط بأهمية هذه المقترحات، وصلتها بحياة المواطنين ومعاناتهم. كما أن الوضع الإقليمي والدولي لا يبدو ضاغطا في اتجاه تنظيم الحوار، فغرب الدولة المستعمرة السابقة مشغولة بانتخاباتها وبتأثير الحرب الروسية الأوكرانية، وبملف انسحابها العسكري من مالي وتداعياته الأمنية في المنطقة. والدول المجاورة منشغلة بقضاياها الداخلية وحساباتها الجيو استراتيجية، كالمغرب والجزائر والسنغال ومالي. ولا تبدو الولايات المتحدة، مهتمة في الوقت الراهن على الأقل، بهذا الملف، وأنّ تراقب ملف الفساد في موريتانيا، كما جاء في تقرير حالة حقوق الإنسان في العالم الذي صدر أخيرا عن وزارة الخارجية الأميركية، وذكر أن مرتكبي الفساد في البلد لا يتابعون على جرائمهم.

زد على ذلك تأثير الدولة العميقة ودفعها في اتجاه الحفاظ على الوضع القائم بعجره وبجره، وسد الطريق أمام أي محاولة للمساس به، وتتغير مقتضياته من فوائد وامتيازات، تستفيد منها فئات نافذة في المجتمع. أما المعارضة فمنهكة بفعل المعوقات البنيوية التي تشكو منها، وعدم انسجامها، ما يجعلها عاجزة إلى حد كبير عن الفعل السياسي المؤثر الذي يمكن أن يزعج، في الوقت الراهن، النظام الحالي الذي ربما يرغب في إنجاز شيء ما في هذا السياق، خصوصا أن هذه المساحة مناسبة حتى في علاقة ماليزيا الخاصة ببريطانيا، وأعضاء التكتل المشترك لمستعمراتها السابقة، فهذا النطاق لسنا نشير إليه لتحويله إلى منبر هجوم على الغرب، رغم استحقاقه النقد والنقض الفلسفي، ولكن التطرف الغربي والانحياز ورفض منح مساحة لفهم فلسفة الشرق، يساهم في العزلة الدولية، ويواصل قطع الطريق أمام المعرفة الإسلامية الجامعة. إننا حين نُذكّر بهذا الانحياز في الغرب لا نحكم بالمطلق على كل مؤسساته الأكاديمية، ولا أعضاء الرواق التعليمي فيه، بل هناك عددٌ لا بأس به من الفلاسفة والمفكرين لهم روح تجاوب كبيرة، مع النظريات المعرفية والأخلاقية الأخرى، ومنها نظرية المعرفة الإسلامية وبوابتها الأخلاقية، ولكن يتضح لك، حين تتأمل، أن هناك رابطا قويا بين مأسسة الجامعات في الغرب والقوة المركزية الرأسمالية، لا تُشجّع أبدا على فتح باب النقاش والنقد الحر، لتاريخ الفلسفة الحديث وعلاقته بمآلات العالم اليوم. ولا أريدُ أن أحصر هذا الأمر في حالة ماليزيا، ولا في الجامعة الإسلامية العالمية، وأبقيه مفتوحاً لكل المؤسسات الأكاديمية في العالم الإسلامي وخارجه، لكن مساحة فكرة تأسيس الجامعة وتقاطر الشباب عليها من دول شتّى، قد يُساعدها على إنجاز هذه الرسالة، وخصوصا حين تكون عبر شراكة مع أحد الجامعات الأوروبية في إنكلترا أو أوروبا وأميركا. ادرك حجم النفقات والمسؤوليات التي تترتب على بعض المؤتمرات والأنشطة، إضافةً إلى مسؤولية الجامعة في مواصلة المنح الدراسية الخارجية. ولذلك أوجه دعوة إلى القادرين من رجال الأعمال العرب، للمساهمة في هذا الواجب الإسلامي الإنساني، الذي تغيب أهميته، مع الأسف الشديد، عن البذل الاحتسابي لمفهوم الوقفية العلمية التي دعمت رحلة الفكر والعلوم في جامعات أوروبا وأميركا الشمالية.

ولقد ناديتُ، في ختام المحاضرة في مكتبة الجامعة، بأن تعلن الجامعة الإسلامية عن تدشين مقعد رينيه غينون للفلسفة الأخلاقية، فهو الشخصية الأولى الجديرة بالاحترام وردّ الاعتبار، حيث سبق بسبعة عقود، كل نُذر المراجعات الفلسفية الأخيرة التي حذرت من مآلات العالم الحديث، ودعا مبكراً، بروحه المسلمة والفرنسية الصادقة الموجّهة إلى قومه، إلى الإصلاح الأخلاقي الفلسفي.

(كاتب عربي في كندا)

> ماليزيا، ذات التعدّد والمسيرة الفكرية، والملكية الدستورية والحياة البرلمانية، حالة وصل مهمة بيننا وبين الأكاديمية الغربية

لماذا عبد الباسط الساروت؟

حسان الأسود

مرّت، في التاسع من شهر يونيو/ حزيران الجاري، الذكرى السنويّة الثالثة على استشهاد حارس فريق الكرامة الحمصي، عبد الباسط الساروت، الذي يلقّبه السوريون الثائرون على نظام حكم الأسد حارس الثورة، ثورة الكرامة. وهذه المقالة تزعمُ أنها تجيبُ على بعض من جوانب السؤال المعنونة به، لماذا الساروت؟

يعيشُ البشرُ ضمن جماعات، ذلك حالهم منذُ مئات الآف السنين، حسب ما تؤكده الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة. ففي إجابة على سؤال عن حال التضامن البشري، تقول عالمة متخصصة في هذا المجال: بيكمنتا أن نخمّن بدء تشكّل المجتمعات البشرية، من خلال معرفة أوّل حالةٍ جرى فيها شفاء عظم مكسور لإنسان، فكسر أيّ طرف في عالم الحيوان يعني هلاك الكائن هذا بلا أدنى شك، فهو لن يكون قادراً على الدفاع عن نفسه أمام الضواري، كما لن يكون قادراً على إعالة نفسه. أمّا لو قُبِضَت له مجموعةٌ تقوم بالمهمتين، فإنّه سينجو. تصوغ الجماعاتُ عهودها وعقودها لتنظيم حياة الأفراد فيها وضمنها، كما تطوّر مجموعةٌ من القواعد لتتعامل فيما بينها، على افتراض الحرب مبدأ والسلم استثناءً، كما يقول توماس هوبز، أو على افتراض العكس، كما يقول إمانويل كانط، حيث يكون التطاحن والصراع بين البشر، عارضاً في تاريخهم القائم على التعاون والتكامل. وفي مراحل لاحقة من تحوّل الجماعات إلى كيانات سياسية، أي عندما بدأت تأخذ شكل الدول والإمبراطوريات، وعندما بدأت تصوغ اجتماعها كامم مختلفة من بعضها بعضا، بات من الطبيعي صناعة الهُوية المميزة لكل أمّة أو شعب في دولة.

والدول تقوم على المؤسسات، مُنذ اللحظة التي اكتشف فيها البشر قوّة السحر لضبط التوقعات، إلى الوقت الراهن حيث يتمّ تركيز السلطة أو توزيعها حسب طبيعة نظام الحكم بين الاستبداد والدكتاتورية أو الديمقراطية والنشاركية، كانت المهد، تخدم هدف نظام الحكم المسيطر أو لكيانها الذي فيه تُصنعُ الأمّة. وحتى البساط الساروت رمزٌ لفئاتٍ كثيرة، واسعةٍ وكبيرةٍ من السوريات والسوريين الثائرين على نظام الاستبداد، وقد وجدوا في مسيرة حياته تلخيصاً لمسيرة ثورتهم، بانطلاقتها على يد الجيل الشاب، بعد أن هزم الاستبدادُ آباءهم وأمهاتهم، وصمودها فترة طويلة نسبياً ضمن حراكٍ مدني غلب عليه في الوجوه الطابع السلمي، ثمّ بحمل أبنائها السلاح للدفاع عن أنفسهم، وبانشقاق كثيرين منهم عن مؤسسة القمع الوحشية، إلى الجيش وأجهزة الأمن، وبعد ذلك بتشتتها وضياعها بين دول قيادة وطنية سياسية قادرة على استثمار إنجازاتها، وفي تطرّف بعض أبنائها ومحايدهم عن الدول والمحاور المختلفة.

يرى هؤلاء في الساروت ثورتهم، في شجاعتها وعنفوانها، في انتصاراتها وانكساراتها، في تفوّق مبدأها الأخلاقي وتعثّر مسيرتها العملية، يرون فيه أيضا استمراراً للعهد الذي ما زال في قلوبهم قابضين عليه كما الجمر، لكنّهم لا يتركونه. الساروت هو حلمُ الدولة العادلة، حلمُ الانتقال إلى ملكوت الكرامة الإنسانية، الساروت شعلة بالنسبة لهم يجب ألا تنطفئ، ولن تنطفئ، فهو أسطورتهم التي تمثلهم، وهو الإجابة بالنصّ الحيّ المحترق، وبالدم الطاهر النازف على سؤال كبير، لماذا الساروت؟

(كاتب سوري في برلين)

> الساروت هو حلمُ الدولة العادلة، حلمُ الانتقال إلى ملكوت الكرامة الإنسانية

الانتخابات العربية... إلى الخلف در

عيسى الشعيبي

في كل مرّة تجري فيها انتخابات برلمانية في بلد عربي، على قلتها، تتأكد لنا عبثية هذه التجربة حديثة العهد في بلادٍ ظلت تقارب هذه اللعبة، المستقرّة في الديمقراطيات الأوروبية، وأنها منتج غربي هُجين، وغير ملائم لثقافة (وتراث وتقاليد) شعوب تتكل فقط على حكمة قادتها الملهمين، ولا تحتكم إلا للسيف والخيل، منذ زمن الصراع على الكلأ والماء، وسبي النساء، ولم تعرف في تاريخها، الوسيط والحديث، سوى أنظمة الاستبداد والإسكات، الأمر الذي تبدو معه الانتخابات، والحالة هذه، مجرّد عملية تكيّف إجباري مع ضرورات هذا العصر، إن لم نقل إنها حالة تماهٍ بالإكراه لتحسين الصورة الخارجية. لا يحتاج المرء، في دفاعه عن قراءةٍ متطيّرة كهذه، إلى قرينةٍ قطعية أو دليل إثبات، لتعزيز مثل هذا الاستنتاج المفعم بالإحباط، ليس استناداً إلى سجلات عتيقة، بل إلى تجارب عينيه حاضرة مل، الأسماع والأبصار، كان جديد تجلياتها بالأمس في لبنان والعراق، وقبل ذلك في مطارح عربية عديدة، مثل ليبيا واليمن وسورية والسودان وفلسطين وتونس وغيرها من بلاد العرب العارية، حيث تجرى الانتخابات وفق قوانين تلائم مصالح الطبقات الحاكمة، وتحاكي أرقى ما في الانتخابات المعاصرة من قواعد تنافس ورقابة واقتراع، إلا أنها تظل قاصرة عن الوفاء، بشروط هذه اللعبة المتقنة. ولعل تجربة الانتخابات البرلمانية أخيرا في كل من العراق ولبنان، وهما البلدان العربيان الواقعان في قبضة الميليشيات الإيرانية، وفّرت ما يزيد عن الحاجة لإبداء مشاعر اليأس والنفور والإحباط، جرّاء ما تفيض به هذه التجربة الماجنة، من وقائع ومعطياتٍ لا حصر لها، تنطوي في البلدين المنهارين، على عبث انتخابي ضارب الأطناب، يؤدّي، في ما يؤدّي إليه، من نتائج سلبية، إلى تسريع وتيرة التحلّل السياسي في البلدين القائمين على الورق، حيث السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية واقعةٌ بالجملة والمفرّق، تحت سلطة السلاح المطلقة، القادرة على إملاء نفسها على جميع الفرقاء، (في لبنان يسمّون الأفرقاء) ربحت الأغلبية أو خسرتها النتيجة سيان. أكثر من ذلك، فإن الانتخابات في العراق، سيما التي جرت في مرحلة ما بعد الغزو الأميركي، وفي لبنان الذي كان يعرف عملية تداول السلطة إلى أن وقع بيد حزب السلاح، ظلت هذه اللعبة الديمقراطية تحتفظ، من حيث الشكل، بالمعايير المعمول بها دولياً، إلا أن نتائجها بقيت رهينةً بيد قوى ومرجعيات تعمل من خلف الستار، أو قل محكومة بإمرة سطوتين قاهرتين، لهما القول الفصل في شؤون البلاد والعباد، أولهما سطوة الميليشيات المدجّجة بالمزاعم والصواريخ، وثانيهما سطوة المحاصصة الطائفية التي بقيت تعمّق الاستعصاء، وتفاقم حالة الانسداد، الأمر الذي حوّل الانتخابات في كلا البلدين المخطوفين، من فرصة سانحة لتزييت آلة الحكم إلى مشكلة مستحكمة أكثر من قبل.

لا يتوقف الأمر عند حدود عدمية نتائج الانتخابات العربية، كونها لا تقدّم أو تؤخر في ميزان القوى الداخلي الراجح لصالح من لديه السلاح، بل تتعدّاه إلى إشاعة أجواء مسمومة وبالغة الاحتقان، تبدأ عشية الانتخابات بالوعيد، وتتواصل بعدها بزخم أكثر، جرّاء احتدام مناورات التكليف والتشكيل الحكومي، والتنازع على الحقائبَ والمناصب. ومع أن أحداً من المثقفين الديمقراطيين المشتغلين بحرفة الكلمة لا يمكنه ترويج فكرة هجر الانتخابات بالمطلق، أو التنظير لمقاطعتها تحت أي مسوّغ، إلا أن تطبيقات هذه العملية القادرة وحدها على تجديد الشرعيات وتفعيل الرقابة على السلطات، ظلت مشوبةً بالتزوير أحياناً، وبعدم الشفافية في أغلب الأحيان، كما بقيت المحصلة النهائية لهذه العملية الديمقراطية نتائج غير ديمقراطية، وتسفر، في كل مرّة، عن تعقيدات جديدة، وتُحدث استدارة إلى الخلف بالضرورة، وحدّث ولا حرج عن التعطيل والتربّص والمناكفات، على نحو ما جرى ويجري في العراق ولبنان، الأمر الذي يحمل على القول: لا تُحدثني، يا أخا العرب، عن لزوم ما لا يلزم من الاحتكام إلى صندوق الاقتراع، عوضاً عن صندوق الرصاص، طالما أن الانتخابات في بلادنا باتت هي المشكلة بدلاً من أن تكون الحل.

دلالات النفور من تصريحات الدكتور

محمد طلبة رضوان

دفع الدكتور حسام موافي فاتورةً ليست له، لم يطلب، يوما، ما فيها، ولم يستفد به، أو من وراءه، كان المصريون في النصف الأول من القرن الماضي يصفون الطبيب بـ«الحكيم»، اختفى هذا الوصف تدريجيا مع تحوّل أطباء كثيرين إلى أصحاب دكاكين، ثم مع تناقص الأطباء الحقيقيين، وهروب الكفاءات إلى أوروبا أو الخليج. حسام موافي، أستاذ الحالات الحرجة بمستشفى القصر العيني، واحد من قليلين يمثلون هذا الوصف، حكمة في أداء مهنته، حكمة في طلب المقابل المادي، والذي لا يتناسب مع «شطاراته» وشهرته، حكمة في استعداده الدائم لتقديم المساعدة، لغير القادرين، بدون مقابل، حتى الإطلالات التلفزيونية، وأغلبها كلامٌ مفيدٌ في التوعية الصحية، لا يتقاضى عليها أجرا. «حكيم» حقيقي، وطبيب حقيقي، ومتديّن حقيقي، وليس درويشا. لاحظ الدكتور موافي أن «القرب في دينه إلى الحقيقة» بعيد عن الأمراض النفسية، (لفت نظري مفهوم الحقيقة بأبعاده الفلسفية والصوفية والكلامية)، وسجّل ملاحظته، وليس رأيه العلمي، وقال إنه «لا يعرف لذلك سببا»، لم يقل أبدًا إن الدين علاج للمرض النفسي، أو إن الصلاة أو الصوم أو ذكر الله هي علاج الاكتئاب، من دون الطبيب النفسي أو الأدوية، ومع ذلك جرت صياغة الخبر والتعليق عليه وفق هذا التصور الأخير. كانت لغة الدكتور موافي في تصريحه الأول تحتمل التأويل إلى التصور الخرافي، (وتحتمل غيره)، لكنه عاد، بعد يوم واحد، ليوضح للمعلّقين ما أراد، وأشار إلى قيمة التديّن في «مساعدة» المريض، والوصول به إلى حالة الرضا، ومنعه من الانتحار، الذي يرافق بعض الحالات، وأشار أيضا إلى أنه يقصد بالدين كل دين، المسيحية والإسلام وغيرهما. أي أن المقصود هو ما يمنحه الدين من طاقة روحية، مفيدة من دون شك، للمريض في بعض الحالات. ولا أظن أن مختصًا بالأمراض النفسية يمكنه أن ينكر ذلك. الكلام عادي ومعقول ومفهوم، لكنه لم يمرّ. فسر الدكتور موافي ما حدث في مداخلة تلفزيونية مع الإعلامي (وهو المتحفّظ) أحمد موسى (مع الأسف)، بحالة «ارتكاريا» تصيب بعضهم حين يُذكر الدين، وهو تفسير بسيط وسريع ومتوقع، كما أنه ليس خاطئا، بالكلية، فمن الطبيعي أن ث

في معنى أن مدريد عاصمة الناتو للمغرب الكبير والساحل

عبد الحميد اجماهيري

تعود إسبانيا بقوة إلى توازنات البحر الأبيض المتوسط، من بوابة الحرب الروسية الأوكرانية وحلف شمال الأطلسي (الناتو)، إذ ستكون عاصمتها مدريد في قلب التفكير العسكري والجيو- ستراتيجي «الأطلسي»، وفي قلبه واشنطن، في سياق دولي يتميز بتوازنات جديدة في منطقة المتوسط. ومن المفارقات في الحالة الإسبانية أن مدريد لم تكن قد بلورت كامل عقيدتها الأمنية الأطلسية، طوال العصر الحديث، فإذا بها توجد في قلب دواليبه، وفي لقب مجهوده الحديث لبلورة عقيدة جديدة للحلف ذاته. ومن المفارقات أيضا أن الحلف الأطلسي، الذي كان رئيس الاتحاد الأوروبي، الفرنسي إيمانويل ماكرون، قد وصف وضعه الحالي بـ «الموت الدماغي»، يعود إلى صحوته الاستراتيجية، في مؤتمر تحتضنه مدريد في نهاية شهر يونيو/ حزيران الجاري، وعلى إيقاع طبول الحرب الأوكرانية الروسية، التي يبدو، مكانيا، أنها تجري في الجزء البعيد من أوروبا عن المتوسط.

ظلت مدريد سنوات طويلة «القريب الفقير» في الفضاء الأطلسي - الناتو، بل لم تسلّم طبقتها السياسية بالانخراط فيه إلا في السنوات الأخيرة، عبر طفراتٍ كان أبرزها التحاق رئيس الحكومة السابق اليميني، خوسيه أزنار، بالحرب الأميركية ضد العراق، في عهد بوش الابن، وخروج سلفه الاشتراكي منها، في تحدٍّ كبير لواشنطن، تلته رحلة جفاء لم يجر تجاوز كل خلفياتها إلى حد الساعة. لم تخطر إسبانيا عمليا وكليا إلا في سنة 1999، وقد تأخرت بذلك استفادتها من تطوير جيشها وتحديثه، بفعل الاحتكاك بجيوش الحلف المتطورة. ودليلا على إرادة الانخراط التام، كانت إسبانيا قد تعهدت الوطني الخام، على غرار ألمانيا التي قطعت مع انعزاليتها العسكرية، وانخرطت بقوة في الأفق الجديد. وبالرغم من التعبير المتجدّد لرئيس الحكومة الحالي، بيدرو سانشيز، للالتزام بهذا الوعد، فإن مدريد لم تصل إليه، وتعتبر اللحظة الحالية حاسمة في هذا الاتجاه، على الرغم من حساسية موجودة في المجتمع لا تتحمّس لذلك .. بل على الرغم من معارضة أطرافٍ في الحكومة هذه القمة وتوجهاتها الجديدة، خصوصا، وقد وجدت إسبانيا نفسها في عمق تحديث «الناتو» وتطويره، بعد أن أخّيتْ روسيا الحاجة إلى هذا الحلف الغربي العسكري، وبعثته من رماده الجيو. ستراتيجي.

ومن النقاط الرئيسية في جدول أعمال «الناتو» أن القمة المقبلة في غضون أيام، وهي إحدى القمم الأكثر أهمية في تاريخه، ستجد أمامها وثيقة جديدة، تحت عنوان «المفهوم الاستراتيجي» للحلف الأطلسي، هي الوثيقة التي تطلبت قرابة سنتين من النقاش والدراسة. والمفهوم أنها أهم اتفاقية بعد اتفاقية التأسيس عام 1949، وتهتم بإعادة صياغة ما تغير في مجال الأمن «وتشفيره» في العقود الماضية، وما يليه من تغييرات تهم «الناتو» وسياسته. وهي ليست الورقة الوحيدة بطبيعة الحال، بل على جدول أعمال العسكريين والسياسيين وصنّاع الهندسات الأمنية، ورقة تتعلق بالبوصلة الاستراتيجية، وبالتوجّه الذي سيتحدّد أوروبيا بالنسبة للدفاع الاستراتيجي، والتي لا بد من أن الحرب الروسية الحالية ستدفع الأعضاء إلى تحيينها على ضوء الصراع الجديد. وفي ذلك، ما قالته المتحدثة باسم حلف شمال الأطلسي، كارمن روميرو، أن القمة ستناقش وثيقة استراتيجية جديدة، لأن الورقة الاستراتيجية التي بلورها الحلف سنة 2010 أصبحت متقادمة، بعد أن صار الحلف يواجه عاملا غير متوقع! .. ففي زمن الوثيقة . الروسية، وصناعة هندسة أمنية جديدة للعالم ولأوروبا خصيصا، وفي الوقت الراهن، أمام الحلف ثلاثة تحدّيات، تتمثل في الدفاع المشترك، التعاون الأمني وإدارة الأزمات، والحرب الحالية أكبرها في المرحلة الراهنة.

وكان لافتا أن الإعداد للقمة سبقته تصريحاتٌ عديدةٌ وأوراق تقديمية، لعل أحد أبرز محاورها هو التنصيص صراحة «على تهديدات الجنوب في الساحل وأفريقيا جنوب الصحراء». وكما قالت كارمن روميرو: «لن نغفل التهديد الإرهابي التي ستعدّ لها بحذر وحيطة جيدة». وبالنسبة لها أيضا، حصلت التوافقات بخصوص هذا الجانب، سيما ما يتعلق بانتظارات الحلف من وثيقته الاستراتيجية الجديدة؟ كما تساءلت روميرو، أمام السلك الدبلوماسي المعتمد في العاصمة الإسبانية، ومعربة عن أن الجواب يكمن في «مواجهة التنافس الجيوستراتيجية المحيط بأوروبا والحلف». وقالت «الصين وروسيا تتحدياننا على كل المستويات، وتُشوشان على نمط حياتنا، مع فارق أن بكين منافسة وليست الخصم، عكس روسيا الخصم والمنافس في الوقت ذاته». المرحلة الحالية مجرّد فصل في حرب الأوديسة الطويلة وغير المتوقعة التوترات. ومن المفيد هنا استحضار ما كتبه السفير الإسباني سابقا في روسيا وإيرلندا والعراق والأمم المتحدة، خوسيه ليوس دي إيتوياغا، حيث اعتبر أن حلف الناتو كان يحدّد «دوما هوية خصومه على ضفته الشرقية، وليس على ضفته الجنوبية. وعليه، صار عليه أن يتبنّى «مقاربة 360 درجة»، وإيلاء أهمية، أشار إلى ذلك خافيير كولومينا (الممثل الشخصي للأمين العام لحلف الناتو)، فإن «الأمن اليورو . أطلسي مرتبط بالأمن في الجنوب»، لأن أي مشكلات في المغرب الكبير أو الساحل تمسّ كل الحلفاء والتهديدات و«التحدّيات القادمة من الجنوب تتزايد يوما عن يوم». وإسبانيا تحدد انتماءها على ضوء «ضرورة ضمان الاستقرار في جوارها الاستراتيجي»، حيث توجد دول هشّة ومحاولة تأبيد بؤر التوتر وزعزعة استقرار الدول ووحدتها الوطنية، حيث تنظيمات إرهابية عديدة عابرة للأوطان وتهريب السلاح والجريمة المنظّمة والمتاجرة بالإنسان. لهذا نجد أن ملك إسبانيا، فيليب السادس، ألح في خطاب الذكرى 40 لانخراط بلاده في «الناتو» على قيادة «الناتو» بضرورة «إعطاء أهمية أكبر لحدودها الجنوبية الاستراتيجية» لمواجهة تهديد الاستقرار ونشر الإرهاب.

ومن العواقب التي لا تغفلها منظمة الناتو وإسبانيا، في هذا الباب، ما قد ينجم عن تهريب أسلحة ذات صلة بالنزاع الروسي الأوكراني. ويبين تقييم «العواقب الأمنية» لعملية نقل الأسلحة هذه، وفق مركز ستيمسون، وهو مؤسّسة فكرية أميركية في مذكرةٍ نشرت في مارس/ آذار «أننا رأينا مرارا كيف انتهى المطاف بأسلحةٍ موجّهةٍ لمساعدة حليف في نزاع ما على الخطوط الأمامية لساحات معارك غير متوقعة، غالبا في أيدي مجموعاتٍ تتعارض مع المصالح الأميركية أو المدنية». ووفق مشروع «سمال آرمز سورفيه»، التابع للمعهد العالي للدراسات الدولية والإنمائية في جنيف، نهبت أو فقدت حوالي ثلاثمائة ألف قطعة من الأسلحة الصغيرة والخفيفة بين عامي 2013 و2015، وهو رقم مهول.

وعلى كل، فجميع الدول غرب المتوسط وشرقه، كما في جنوب أوروبا وشمال القارّة الأفريقية وجنوب الصحراء، مطالبة بإعادة النظر في اصطفافاتها، على ضوء المتغيرات الحالية والحقائق التي تنضجها الحرب الساخنة في أوكرانيا على نار هادئة في الحوض المتوسطي، بعد أن اتفق الجميع على أن الرقعة الجيوستراتيجية قد تطايرتْ فسيفساؤها، وصارت تتشكل من جديد.

في الجبهة الأولى، توجد استراتيجيات الغاز والطاقة، والتي تتلخص في الغاز سلاحا مرحليا حاسما في التوازنات الاستراتيجية، كما هي الاستراتيجيا «أنبوب» حاسم لمرور الغاز من عدمه. وقد صارت الحياة اليومية لبني البشر، وبالتالي، التوازنات السياسية الداخلية للدول والأنظمة مسألة حرب وتداعياتها. ولا يمكن استمرار السياسات الدولية

> ما يطبع التحول الإسباني مرتبط، شديد الارتباط، بالوضع الذي اختاره «الناتو» للتموقع في المتوسط وفي شمال أفريقيا

> لا يمكن استمرار السياسات الدولية نفسها، بعلاقاتها واقتصادياتها وآلياتها، بالطريقة التي سادت قبل الحرب الأوكرانية

نفسها، بعلاقاتها واقتصادياتها وآلياتها، بالطريقة نفسها التي سادت قبل الحرب، بالتالي، قبل إعادة تموقع حلف الناتو الذي تحتضن مدريد قمته. والموقع بالنسبة لإسبانيا يتجاوز الموقف «العاطفي» من هذه العاصمة المغاربية أو تلك، بل يتعدّاه إلى الدور الذي يمكنها القيام به في المعادلات المغاربية، ثم في معادلات الساحل جنوب الصحراء، بعد أن ثبت لها، في الحالة الفرنسية مثلا، أن من الممكن لقوة قديمة في «الناتو» أن تضيع الخيط الناظم وقوة التأثير في شمال أفريقيا وجنوب الساحل.

وأمام إسبانيا عرضان سياسيان. الأول داخل أوروبا، يتمثل في الاصطفاف مع ألمانيا التي غيرت عقيدتها العسكرية إزاء مشكلات أوروبا، وغيّرت أيضا توازناتها مع روسيا. وبذلك تكون مدريد وبرلين ثنائيا له نفوذه في قلب الاتحاد الأوروبي وتأثيره غرب المتوسط. والثاني من خارج الدائرة الأوروبية يقتسم فيه القدر الأطلسي مع المغرب، باعتبار التحوّلات التي حصلت خلال السنة، والطابع المتميز الذي للبلد المغاربي في علاقاته مع حلف الناتو وقواته (الشريك غير الأوروبي الأول). هذا في وقتٍ تتجاوب عواصم مغاربية أخرى مع حسابات التحالف مع روسيا وإغراءاته في إدارة المرحلة ما بعد الحرب الروسية الأوكرانية، أو إدارة سياقاتها المحلية، كما في التدخل الروسي في صراعات دول جنوب الصحراء، بواسطة قواتها غير الرسمية «فاغنر».

وفي مجال الهجرة، كما في مجال التعامل مع التهديدات الإرهابية، التي تكشف نقاطا مقلقة وملتهبة بالنسبة لإسبانيا وأوروبا، يختار الحلف البراغماتية وحسن الأداء، وعلى ضوء التقدّم، ولو في سياقات محاطة الأزمة، في نزع الفتيل. وغير خافٍ أن تفاوتا كبيرا يحصل لدى العواصم المغاربية في تقديم الخبرة والتجربة والقدرة على مواجهة الإرهاب، كما يتبيّن من تقارير عديدة صادرة عن «الحلف الأطلسي» نفسه أو عواصمه الرئيسية، وهو ما سيؤخذ بعين الاعتبار في تحديد الحلفاء للمرحلة المقبلة. أضف إلى ذلك أن أوضاع دول المغرب الكبير وجنوب الصحراء تتراوح بين دول قوية قادرة على إدارة قدرها الذاتي والمتعدّد، ودول أخرى جامدة، ودول في طور التفكيك والتفتت. ولكل بلاد أن تختار مصلحتها في تحالفاتها الإقليمية، لكن ما يطبع التحوّل الإسباني مرتبط، شديد الارتباط، بالوضع الذي اختاره «الناتو» للتموقع في المتوسط وفي شمال أفريقيا، وهو تموقع تعبر عنه وثائقه التي تُناقش حاليا. يذهب محللون إسبان إلى الحديث عن «عودة الحرب الباردة» في المغرب الكبير واحدة من معايير لقراءة علاقات بلادهم مع دول المنطقة. وبالنسبة لهم، أحيت الحرب الجديدة «شياطين» الحرب الباردة وقواميسها ومعادلاتها، بشأن الحضورين، الروسي والأميركي، في المنطقة، من خلال المناورات العسكرية أو من خلال التعاون الاقتصادي، بالرغم من أن دولا كثيرة ذات علاقة خاصة بالغرب، منها المغرب، لم تقطع علاقاتها مع موسكو، وظلت محافظة على توازن صعب في العلاقات مع روسيا بوتين في زمن انقلابات التوازنات، غير أن المشهد العام المرافق للحرب مسكونٌ بأجواء الحرب الباردة، بالنسبة لمحلل سياسي وإعلامي إسباني، مثل بيدرو كناليس، الذي يعتبر الأزمات التي مسّت الثلاثي، الرباط مدريد الجزائر، «انعكاسا للحرب الباردة الجديدة». .. وإلى حد الآن، الفضاء الوحيد المسموح فيه بـ«حرب ساخنة وحية» هو الفضاء الليبي، شمال أفريقيا ودول الحرب مع الإرهاب في مالي وجاراتها، في جنوب الصحراء.

(كاتب مغربي)

بايدن والشرق الأوسط... عالم جديد

محمد أبو رمان

استهلّ لستر ثارو الفصل الأول من كتابه «الصراع على القمة: مستقبل المنافسة الاقتصادية بين أميركا واليابان» (ترجمة أحمد فؤاد بلبع، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر/ كانون الأول 1995) باقتباس من الرئيس الأميركي الأسبق، رونالد ريغان، عن الدب الروسي، معنوناً (ثارو) الفصل بـ«اختفاء الدب»، ترميزاً لنهاية الاتحاد السوفيتي والحرب الباردة والانقسام العالمي بين معسكرين شرقي وغربي.

جاءت مقاربة ثارو في ذروة الانتعاشة الأميركية والغربية بالانتصار على العالم الشيوعي. وحينذاك ظهرت أطروحتان، هيمنتا على السجال الفكري العربي؛ الأولى كتاب نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما، والثانية صدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون، في حين كان ثارو يشير إلى انتهاء عهد الحروب العسكرية، وبروز الحروب العالمية الاقتصادية، وهو وإن كان قد أشار إلى التنافس الأميركي الياباني (حينها، كان كتاب «اليابان التي تستطيع أن تقول لا» لإيشيهارا شنتارو، وزير النقل 1989 أحد الكتب المهمة التي أثارت سجالات كبيرة)، فإنّه لم يهمل القوى الأخرى الصاعدة، مثل ألمانيا الغربية والاتحاد الأوروبي عموماً، لتظهر لاحقاً الهند، والصين التي أصبحت الصداع الأكبر اقتصادياً للولايات المتحدة، وبدأت تحتل الأولوية الرئيسية في استراتيجيات الأمن القومي الأميركية أخيراً، وفي سيناريوهات مراكز التفكير والبحث هناك في واشنطن.

قبل أيام قليلة، كان الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، يؤجّج النقاش بشأن مستقبل النظام الدولي في ضوء الحرب الروسية – الأوكرانية، أخيرا، بالتأكيد على أنّ نظام القطب الواحد لم يعد صالحاً ومؤشّراً على جملة من المتغيرات التي تعزّز كلامه منها القوى الاقتصادية الصينية والهندية، وحتى الإندونيسية والأميركية الجنوبية، ويرسل تحذيراً مبطّناً إلى الأوروبيين، أنّ الحرب الراهنة ستضعهم اقتصادياً بصورة كبيرة.

وبمناسبة الحديث عن ثارو وفوكوياما وهنتنغتون وإيشيهارا، فإنّ أحد أبرز الكتّاب الجدليين اليوم في روسيا وخارجها، وتحظى كتبه باهتمام كبير، هو ألكسندر دوغين، الفيلسوف الروسي المعروف (بخاصة كتابه أسس الجيوبولتيكا)؛ إذ يرى محللون ومتابعون كثيرون للشأن الروسي أنّه بمثابة المنظّر الجديد للقومية الروسية، ولتدشين بدائل «الأوراسية» في مواجهة حالة التراجع أو الاختفاء الروسي عن المسرح الدولي منذ نهاية الحرب الباردة وحتى عقد، حتى بدأ الروس يرجعون إلى التنافس الدولي، ولعلّ نصيب الشرق الأوسط كان واضحاً فيما حدث في سورية وفي الدخول الروسي على ملفات عديدة في المنطقة. على الطرف المقابل، دخل الأميركيون مع حقبة الرئيس الأميركي، باراك أوباما، في ارتباك في تحديد الأولويات والقضايا الاستراتيجية والتعامل معها، وتزامن ذلك، عربياً، مع بدايات الربيع العربي 2011، إذ بدا الرئيس مؤيداً أو مسايرا لما حدث في مصر وتونس، وداعماً للثورة السورية، إلى أن بدأ بالتراجع مع حادثة مقتل السفير الأميركي في طرابلس، ثم التراجع عن توجيه ضربة على سورية، بالرغم من تهديداته المتواصلة، والوصول، في المقابل، إلى صفقة تاريخية مع الإيرانيين، ما أثار قلق الحلفاء العرب وسخطهم، ودفع بهم إلى البحث عن بدائل وخيارات أخرى استراتيجية، تسبّب بأزمة شديدة بين الطرفين، انعكست على الحضور العربي الهزيل لقمة كامب ديفيد التي دعا إليها أوباما حينها زعماء دول الخليج، بالرغم من محاولة الرئيس طمأنة حلفائه، قبل مغادرته البيت الأبيض بعام على الالتزام بالعلاقة الاستراتيجية.

ما حاول أوباما تخبئته، فضحته المقالة التي نشرها في مجلة ذا أتلانتيك الصحافي المشهور جيفري غولد بيرغ Jeffry Goldberg في العام 2016، إذ قدّم فيها رؤيته لمنطقة الشرق الأوسط ولمستقبل السياسة الأميركية فيها، وهي، بالمناسبة، رؤية تشاؤمية، ترى أنّ هذه منطقة غارقة في مشكلاتها الداخلية، وأنّ النظام الذي أقيم فيها بعد الحرب العالمية الأولى قيد التفكك، وأنّه تجنب التورّط فيها، وأحسب أن تلك المقالة، بما تضمنته من رؤية أوباما وفلسفته، وثيقة تاريخية على درجة كبيرة من الأهمية لفهم الرؤية الأميركية والتحولات في السياسة الخارجية الأميركية تجاه المنطقة.

ذهب أوباما، وجاء الرئيس الأميركي دونالد ترامب وأعاد الجميع إلى المربع الأول، ما قبل الربيع العربي، أو ما يمكن تسميتها «الصفقة التاريخية بين المصالح الأميركية والسلطوية العربية»، لكنّه أضاف إلى ذلك مساراً آخر في الفترة الأخيرة له يتمثل بالإعلان عن صفقة القرن، والتمهيد للاتفاقيات الإبراهيمية، بمباركة وهندسة وتخطيط من صهره جاريد كوشنير، وجرى ترسيم خطوط التحالف الأميركي- العربي- الإسرائيلي، في مواجهة إيران، مع سفور أكثر من الرئيس الأميركي تجاه الضغط على الدول العربية في توقيع المعاهدات، ودفع المليارات للحفاظ على العلاقة والدعم الأميركي.

إلاّ أنّ عودة الديمقراطيين أفسدت تلك اللحظة التاريخية، وأرعبت الحلفاء العرب من العودة إلى مدرسة أوباما والتحالف مع إيران وعدم الاكتراث بالعلاقات التاريخية بين الطرفين وغيرها، وهي أمور بدت واضحة تماماً مع بدايات عهد الرئيس الجديد جوزيف بايدين (كان نائب الرئيس أوباما ويشاطره أفكاره، بخاصة التي ظهرت في مقالة جيفري غولد بيرغ)؛ وجاءت الإدارة الجديدة بعد مقتل الصحافي السعودي، جمال خاشقجي، واتسمت علاقة بايدن بكل من السعودية والإمارات بالبرود، ثم انتهى عهد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، لتتعزّز الشكوك العربية تجاه مستقبل العلاقة مع الإدارة الأميركية.

> تحالف أميركا مع دول عربية نفطية في حالة اختبار اليوم، والاتفاق مع إيران يواجه تطورات، والأتراك يفاوضون ويقايضون

> زيارة بايدن المنطقة معقدة وصعبة، وتعكس صعوبة تعامل أميركا مع التحوّلات الإقليمية

في الأثناء، كان الانسحاب الأميركي من أفغانستان وما نجم عنه من ضرر للصورة الأميركية عالمياً، ثم الحرب الروسية - الأوكرانية التي ترافقت مع تجذّر الشكوك بين الأميركيين والعرب، بخاصة مع رفض السعودية زيادة الإنتاج النفطي، وتصويت الإمارات المحايد في الأمم المتحدة مرّتين، ما انعكس على الأسئلة حول العلاقة بين الإدارة الأميركية والمنطقة.

صحيحٌ أن الرئيس بايدن لم يمض وراء خطى ترامب، لكنّ الواضح أنّه لا يملك تصوّراً استراتيجياً واضحاً تجاه المنطقة، بخاصة مع الحرب الروسية – الأوكرانية، وما ينجم عنها من أزمات اقتصادية وعالمية. وعلى الأغلب، إنّ تأجيل زيارته المنطقة مرتبط بمراقبة حالة الحكومة الإسرائيلية ومصيرها من جهة والعمل على ترتيب الاجتماع والمخرجات المرتبطة به مع الدول العربية، من خلال القمّة المنتظرة لبايدن مع هذه الدول.

تحالف أميركا مع دول عربية نفطية في حالة اختبار اليوم، والاتفاق مع إيران يواجه تطورات، والأتراك يفاوضون ويقايضون موقفهم مع أميركا وأوروبا، بينما هنالك سيناريوهات متفاوتة تجاه الحكومة الإسرائيلية، في الوقت نفسه، مسيرة السلام معطّلة تماماً، ورئيس الوزراء الإسرائيلي، نفتالي بينت، يريد مكتسبات من زيارة بايدن. وهكذا، فهي زيارة معقدة وصعبة، وتعكس صعوبة تعامل أميركا مع التحوّلات الإقليمية.

(كاتب ووزير أردني سابق)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads